

٢ - طرف عن عثمان

الزعة النزارية اليمانية

ولقد أكثر (صلى الله عليه وسلم) من النهي عن هذه الدعوة حتى أمر بشدخ المنادى بها بالسيوف كما أسلفناه ، وكذلك خلفاؤه الأبرار . ومن كعمر وحرصه على قمعها إذ نهى بشدة وغلظة عن رواية شعر المناوضة التي بين قريش والأنصار . وقد مر ذات يوم بحسان ابن ثابت وهو ينشد الناس بالمسجد فأخذ يأذنه وقال : يا هذا ارغاء كرغاء البعير فقال له حسان : دعني يا عمر فلقد رأيتني أنشد من هو خير منك في هذا المحل فيظهر لي استحسانه ؛ فمضى وتركه ولكن بعد أن نشرت هيئة عمر على حسان وسامعيه سحابة من وجوم . فانظر إلى أي حد بلغت الشدة من عمر حتى أنه يأخذ بإذن شاعر الرسول يؤنبه على إنشاده الناس الاشعار المثيرة للعصبية . وقل مثل هذا عن أمير المؤمنين على ابن أبي طالب فإنه كان يحذو حذو رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في بغضه لهذه الدعوة الموبقة . وكان لا يرى لأحد على أحد فضلا إلا بالتقوى ، وخلاصة القول فإنك لن تجد في عصر هؤلاء الخلفاء الكرام من ينادى بهذه الدعوة المثيرة أو تسمع له ركرا .

بيد أن قرنها قد ذر في زمن معاوية ابن أبي سفيان وإن حادثة عبد الله بن الحجاج ابن الحشرج الثعلبي ثم الغطفاني لتكشف لنا الستار عن مبدأ ظهورها . وذلك أن كثيراً ابن شهاب الحارثي من سادات مذحج ومن امراء القحطانيين كان على أحد الجيوش المبعوثة من العراق إلى خراسان في زمن معاوية وكان عبد الله بن الحجاج من فرسان هذا الجيش ، وبارز يوماً أحد فرسان الخراسانية ققتله ، وأخذ سلبه وكان ثميناً فلم يدفعه إلى صاحب الغانم ، فنفس عليه كثير ذلك وطلبه منه فلم يدفعه إليه ، فأمر بضربه وسجنه ، ثم إن ابن الحجاج أفلت من السجن ، ورجع إلى العراق وجعل وكده اهتبال الفرصة بائن شهاب حتى وافاه يوماً بأحد أسواق الكوفة ، فشد عليه بعمود هتك به مقدم أسنانه فخر صريعاً ، ومضى ابن الحجاج وهو يظن أنه قد قضى عليه وراح يفتخر بقوله .

من مبلغ ابني نزار أنني أدركت مظلمتي من ابن شهاب
ويعني ابني نزار ، فرعى معد ابن عدنان ، وهي مضرو ربعة .

وعلى أثر هذه الحادثة اجتمع كثير من سادات اليمانية وإشرافهم وكتبوا معاوية ابن أبي سفيان كتاباً جاء فيه : إن خسيسا من غطفان اعتدى على سيدنا كثير ابن شهاب ، فإن شئت أن تقيدنا من أسماء ابن خارجة فعلت .

وأسماء هو أسماء بن خارجة بن عيينة بن حصن بن حذيفة الفزاري ، سيد غطفان ، وقد تزوج الحجاج بن يوسف بأبنته هند بنت أسماء ، وجمع بينها وبين هند ابنة المهلب ابن أبي صفرة الأزدي القائد العظيم ، ولما قدمت ليلي الأخيلية على الحجاج ومدحته بأبياتها المشهورة التي منها : -

احجاج لا تعطى العصاة منام

ولا الله يعطى للعصاة مناه

إذا نزل الحجاج أرضاً مخوفة

تتبع أقصى داءها فشفاهها

شفاها من الداء العسال الذي بها

غلام إذا هز القناة سقاها

جباها وأحسن وفادتها وخيرها بالزول على أي الهنديين شاءت ، فأختارت هنداً بنت أسماء ، لأنها من قيس عيلان وقالت إن زولي عند ابنة عمي خير لي ، وإكرم لها ، ولا حاجة بالأجنبية .

وأما معاوية ابن أبي سفيان ، لما قرأ كتاب اليمانيين الذين يطلبون القود من أسماء بدلا من ابن الحجاج ، قال : كلام أركتاب قوم أحرق من هذا ، وكتب لهم القود ، من لم يجن مخظور ، والجاني محبوس فليقد منه .

ولكن ابن شهاب وقومه لم يرق لهم هذا الجواب فقالوا كلا ، لا نستقيدها إلا من سيد مضر . وبلغ معاوية قولهم هذا ، فاطلق ابن الحجاج ، وقال أنا سيد مضر فليأخذوا قودهم مني .

وهكذا ذهب جق ابن شهاب لدى السلطان جزاء الخنزرة التي أبت عليه إلا أن يأخذ البريء بالمدنب ، وما ذاك إلا أنه لا يرى أن ابن الحجاج يصلح أن يكون له نداء ، وإن بوائه لا يكون إلا في سيد مضر وهو اسحاق بن خارجة ومن هنا ترى أن هذه النعرة قد بدأت (بعد أن قضى عليها الرسول الأكرم وخلفاؤه من بعده) في زمن

معاوية ، وحركت في وقت مروان ابن الحكم الأموي الذي
 قاد اليمانية يوم مرج راهط لمحاربة القيسية الذين بايعوا .
 الضحاك ابن قيس الفهري لعبد الله ابن الزبير حين
 اجتمعت جميع قيس معه ، وقيس مناط القلادة من مضر
 وإذا تدبرت شعر مروان ابن الحكم بعد هذه الواقعة علمت
 كيف استغل أنارة هذه العصية ليستفيد من حمية هذه
 القبائل اليمانية ، وانظر إليه يعدد هذه القبائل اليمانية التي
 دافعت عنه قيساً وكسرتها ، مفتخرآها ومنندآ بقيس ومرسلاً
 عليها شديد مقته وشواظ غضبه وإن كانوا من أصله من
 مضر قال :

لما رأيت الأمر أمراً صعباً

يسرت غسان لهم وكلباً

والسكسكين رجلاً غلباً

وطيئاً تاباه إلا ضرباً

ومن تنوخ مشمخراً صعباً

لا يأخذون الملك إلا غضباً

وإن دنت قيس فقل لا قرباً

وانظر معى في أبيات زفر ابن الحارث الكلابي
 القيسية تحس منه الندم المرير على ما فرط منه من الهزيمة
 والتحرق على أخذ الثأر من قبيلة كلب بن وبرة الفضاعية
 وهى قبيلة الشرارات اليوم كما ذكرها الأمير شكيب
 أرسلان رحمه الله في إحدى مقالاته في جريدة الشورى .
 وتلك القبيلة في القحطانيين بمنزلة قيس في النزاريين ،
 وإليك بعض أبياته : —

انذهب كلب لم تنلها رماحنا

وتترك قتلى راهط هى ماهايا

لعمري لقد أبققت وقيعة راهط

لحسان صدعا بيننا متهايا

فقد يئبت المرعى على دمن الثرى

وتبقى حزازات النفوس كماهايا

أيذهب يوم واحد إن أساته

بصالح أيامى وحسن بلائيا

فلا صلح حتى تنخط الخيل بالقنا

وتثار من نسوان كلب نسايا

وحسان الندى عناء بالبيت . هو حسان ابن مجدل

الكلابي زعيم قبائل كلب وخال يزيد ابن معاوية ، وأما أبيات

زفر فإننى أحس منها برارة الندم تلفظ من ألفاظه وجمرة
 الحقد تضطرم في احشائه .

فيخرجها شعره حمراء ملتية على سنان ذابلة لينحط
 بها خيل الكلابيين ويردى فوارسها ليشمت بهم نسوانه كما
 شتمت نسوان كلب قبلهن بهن ، وقد أجابه عمرو ابن
 الخلاة الكلبي بقوله .

بكى زفر القيسى من هلك قومه

بعبرة عين ما يحف سجومها

يبكى على قتلى أصيبت راهط

تجاوبه هام الفقار وبومها

اجنأ حمى للحى قيس راهط

وولت شلالا واستبيح حريمها

يبكهم حران تجرى دموعه

يرجى نزارا ان تؤوب حلومها

فت كدا أو عش ذليلا مضمها

بحسرة نفس لا تنام همومها

إذا خطرت حولى قضاة بالقنا

تخط فعل المصعبات قرومها

خبطت بهم من كاذبى من قبيلة

فمن ذا إذا عز الخطوب يرومها

ولما قضى أمر مرج راهط وذلك في سنة ٧٠ هجرية

سار زفر بن الحارث الكلابي إلى « قرقيسيا » (مدينة
 على القرات) وبايع عمير بن الحباب بن جعدة السلمي
 لمروان ابن الحكم ، وفي نفسه ما فيها بسبب قتل قيس
 بالمرج ، فلما سير مروان عبيد الله ابن زياد إلى الجزيرة
 والعراق كان عمير ابن الحباب معه ، فلقوا سليمان ابن
 صرد الحزاعي رئيس جيش التدايين ، طلبه ثأر الحسين
 (ع) بين الوردة ، ولما كسرهم عبيد الله ازمع السير إلى
 قتال زفر ابن الحارث « بقرقيسيا » وهو يومئذ زعيم
 قيس فثبطه عمير عنه ، وأشار عليه بالمسير إلى الموصل
 لقتال إبراهيم ابن الأشتر قائد جيش المختار ابن أبي عبيد
 الثقفي ، وقال له ينبغي أن تأتى الموصل قبل أن يأتها إبراهيم
 ابن الأشتر ، فسار إليها ولقى إبراهيم بالحازر ، فمال معه عمير
 فانهزم جيش عبيد الله ، وقتل هو قتلة : « إبراهيم ابن
 الأشتر ، وقيل قتله شريك ابن جدير التغلبي ، وكان من
 أصحاب أمير المؤمنين ، ولما جاءه خبر مقتل الحسين عليه السلام
 (البقية على ص ٣٧)